

الباب الثامن فى تفصيل المشية

١ فى الركن يستر الارض مثل العنديل ولا يرفع اليدين او يعوج الركبتين ٢ فى المشية رجلاه تقعان امام يديه وخارجاً عنهما ايضاً ٣ وذلك يتعلق بوسط قطائيه وفخذه . * تمت وبالحير عمت * بدوى عراقى

مشاركة سد الهندية

Une visite au barrage de Hindyeh.

(لغة العرب) كثر الكلام فى هذه الايام ، عن سد الهندية . فتم من استحيته وتعامل به خيراً للبلاد والعباد ، ومنهم من رأى فيه ضرراً لنا ولديارنا ، وفريق ذهب الى ان النصارى العثماني واماوال الدولة تدفن فيه دفناً . - وجاعة - قالت انها تبذر بها بذراً يثر عن قريب المثل مئة ضعف او الف ضعف . الى غير هذه من الاقوال والآراء . - فارادت ادارة مجلتنا ان تعرف الحق من الباطل . فانفذت رجلاً بصيراً بالامور عارفاً الحقائق محباً للوطن ، ليشارف ذلك السد ويرفع لنا رقيقة . وبعد ان عاد من مهمته كتب الينا ما خالجه من الشواعر بهذا الخصوص ونحن ندرج هنا للقرء ما انشأه واليك ما قال : سمعت منذ حداثة سنى ومازالت اسمع الى الان اقوالاً مختلفة بشأن هذا السد وعن تصميم الدولة على بناءه وعلى تحقيق امنيتها . وكانت هذه الاقوال كثيراً ما تصادم بعضها ببعض . ويناقض الواحد ما يثبت الآخر ، لابل رأيت كثيرين ينتقدون السد واشغاله الحاليل . والحاليل انتقاداً يشف عن حزازات دفينه - أو عن غايات واهوآ متباينة - حسب الدافع الذى يدفعهم الى القول . ومن الغريب ان كل ماسمعه من زين وشين (وبعض الاحيان كنت اسمع اشياء تصدر من مصدر جليل او يعتمد عليه) لم يثبت فى نفسى رأياً دون رأى بل انار فى صدرى شوق التحقيق ولاعج الاستقرآء . فقلت فى نفسى : لا يحسن بى ان أمسك بقول هذا دون ذاك بل يجدر بى ان اذهب بنفسى الى محل الاشغال وانظر ما فعله فى السابق المهندس البارع الفرنسوى شندرفر Schœnderfer واقابله بما رسمه المهندس الشهير الانكليزى السير وليم ولكوكس Willeoks . حينئذ استطيع ان ابين حكمى وارى رأبى بعد ان اكون قد نظرت ما فى الرسمين من الحسنات والنسيئات . اما اليوم وقد اتهمت ما كان قد دار فى خلدى تبين لى الحق وصرح فجمعت فى ذاكرتى ماسمعه فى السابق وضممته الى ما رأيت

واختبرته بنفسى، فتقوم من كل ذلك حقيقة اظنها قائمة على ركن مكين .
وقبل ان اتمرض لوصف السد ابدأ بان اقول لكم ان اعادة الماء الى النهر الحلة
امر ميتوت لارجوع اليه ولا يحتاج الانسان الى ان يكون من العلماء اصحاب الفن
لكى يوقف صاحبه على ما لم يزم نفسه . فمجرد النظر الى تلك الاشغال الهائلة
التي تجريها الحكومة بل تحتها في الهندية تكفى لى تزعج عن فكركم كل شك
في هذا الصدد .

ودونكم الان الافادات التي اقتبسها في المواطن التي تقوم فيها الاعمال،
وقد قرنت بها الملاحظات والتأثرات التي وقعت في نفسى اوشعرت بها في مطاوى
مشارفتى اياها :

في الموطن الذي تتم الاشغال اليوم يتفرع الفرات الى فرعين : الفرع الاول
وهو الفرع الايسر اسمه « شط الحلة او نهر الحلة » والفرع الثانى وهو الفرع
الايمن اسمه : « شط الهندية او نهر الهندية » . وكانت شعبة الحلة في الازمان
الحالية اعظم من الشعبة الثانية اختها . اما اليوم فالامر بالعكس اذ كل ماء الفرات
يتدفق في شط الهندية . وقد ذهب الباحثون في هذا الانقلاب مذاهب شتى
مملئين له اسباباً مختلفة . ولما كانت معرفتى لاتجارى معرفة اولئك المدققين
من اهل الفن لقلة بضاعتى في هذه المادة اجتزى بان اذكر الامور على اوجهها
بدون ان اتوغل في البحث عن عللها واسبابها وهذا ضرب صفحاعنها .

بدأ تحول الفرات عن مجراه قبل نحو ٤٠ سنة . فلما رأى اولو الامر
هذا الانحراف في الجرى قاموا له وقعدوا، وشرعوا في سنة ١٨٨٥ باقامة سد غواص
وكان المهندس له الفاضل شندرفر المذكور وبناء بالطابق وجعله في عرض النهر
ليقلل جريانه في شط الهندية ويكثر انحداره الى شط الحلة لاسيا في ايام الصيف
(نقصان الماء) الذي يكون في ايام الخريف . ولوسى اولو الامر بالمحافظة على
حاله التي رسمت له بمحافظته تامة لكانت تحققت الامنية . الا انه لاسباب
عديدة اهمل امره . ولما قرب الزمان عليه اخذ بالانهدام والانهار حتى لم يعد
واثياً بالمقصود ولم يتبق فيه قاعدة . واصبح ترميمه كثير النفقات وصعب التحقيق
فاضطر اصحاب الحل والربط الى اهماله بتاتاً والى ابداله بسد آخر اقوى وامكن
واوفى فائدة بالمرام حسماً الامر بدون ان يحتاجوا الى ان يعودوا اليه كل حين مع

تحقيق الامنية ان يجرى الماء جرياً غزيراً في شط الحلة على طول مدة السنة . وهذا هو فكر السيروايم ويشكوكس وهو الفكر الذي يخرج اليوم الى عالم الوجود منذ سنة ١٩٠٩ .

ان اشغال السد تقدمت تقدماً عظيماً اذ انها انتهت في اواخر الحريف واليوم يجد المهندسون والعملة في امامها ولا يمكن ان اخفى عليكم ما قوله وهو اني تمجيت غاية المعجب من فخامة هذا البناء المكين وضخامته وجلالته . وفي ظني ان هذا السد هو اعظم واجل من جميع الاسداد الموجودة في بلاد دولتنا العلية . ولقد عجبت من حسن محل الشغل الذي يستغرق ارضاً مساحتها ١,٥٠٠,٠٠٠ متر مربع ودهشت بما رأيت من عمالنا العراقيين المشتغلين هناك . لحقيقة هم اهل لان اهنتهم بما رأيت منهم من شدة النشاط والنباهة والذكاء اذ كل ذلك يرى في كل ما يأتونه ويملونه مع انهم لم يخرجوا في مدارس اصحاب الفن ولا في مكاتب عليا بل ولادنيا . فكيف بهم لودخلوها واقتنوا الفنون الراجعة الى هذه الاعمال . وتحققت اليوم كما ثبت الامر سابقاً ان لانباء العراق من الذكاء الفطري والانتفاع من كل نور عصري ما قلما يرى في اهل البلاد اذ يتلقون بسهولة كل ما يشاهدونه بدون ادنى كلفة او تعب . وسواء كانوا مرارين او طيانيين او بنائين او مشتغلين بالآلات فكلهم قد اكتسبوا في زمن قليل من حسن التصرف باعمالهم واشغالهم ما يقضى منهم بالعجب المعجاب . ونحن نذهب تقدم هذه الطبقة من العملة الى دراية مهندسي محل السيرون جاكسن وحسن آدابهم ورفقهم ببناء الوطن . كيف لا وقد أخذوا على انفسهم بناء هذا السد وحسن معاملة ابناء هذه الديار لتكون الفائدة فائدتين : تعمير البلاد ، ومعاملة العباد .

هذه الامور ترى كلها روية حسية بل تكاد تمس بالايدي ولهذا لا يمكن ان ينكر هذه الحقيقة البينة الا من اعماه البصر واغواه شيطان الفساد والافساد والحسد اذ المشاهد لا يستطيع الا ان يقر صاغراً امام هذه الادارة العامرة التي اخذت على نفمها ابراز تلك الامنية الى حيز الوجود . ولقد شبهت محل الشغل بحلقة عظيمة من خلايا النحل (اي بكورة زناير العسل) اذ عدت فيها اكثر من الف عامل من كل صنف وصنف بينهم من يحفر في الارض ، وآخرون يقطعون الابن ، وقريق يبني الجدران ، ويقيمها على اسسها ، وجماعة تسير الآلات المختلفة ، وكثيرون يمشون

اويدفون عجلات السلك الحديدية الخفيفة التي انشئت لنقل القرب والمواد
وانواع المعدات. ورأيت في جميع المواطن ترتيباً عجيباً ونظاماً غريباً ولم اشاهد
ابداً رجلاً قد انقطع عن شغفه او قد اها به في وظيفته كما نرى لم يصبر من اساء العمل
او اساء التصرف في ما بين يديه بل بالعكس رأيت كل شئ سائراً في مجراه
الذي رسم له قبل الشروع به وبأدلاً كل ما في وسعه ليحقق ما طلع عليه فيتمه
او يحكم عمله على احسن ما يمكن او افضل ما يرام لكي يمنع كل تبذير في الوقت
او في المال او في المعدات .

فلما اعتبرت كل ذلك قلت في نفسي : وكيف وجد اناس ينتقدون مثل
هذه الاعمال . فقاتل الله اصحاب الاغراض ما شد ضررهم على الوطن ! يتكلمون
باشياء وعن اشياء لم يروها ولم يفقهوها ! فليأتوا مثلي الى هنا ويا شاهدوها بميونهم
وليحكموا بعد ذلك بما توحى اليه انفسهم . على اني اقول انهم اذا شارفوها
لا يمتدحون عن ان يمدلوا عن رايهم الاول الموعج ويلقوا عنهم الاراء التي تلقوها
عن بعض اصحاب المفاصد والغايات ويتمسكوا بما هو اقرب الى الحق وابتين للعقل
السليم . لابل اقول بكل جرأة : ان كان في بناء السد بعض المغامر والشواذب
(وهي ليست فيه) فيجب علينا مع ذلك ان نشكر الذين اتجوا لنا هذه النتيجة
وهي ان محل الشغل اصبح مدرسة تخرج فيها عملة عديدون من جميع الاصناف
مهروا في صناعتهم كل المهارة وكانت البلاد في السابق خالية منهم ، عارية من
امثالهم . ولا جرم انهم يصبحون للمراقبين امثلة حية لحجة الشغل والجري على
خطئة معلومة وتحققها على الوجه الاتم المرضي مع اتقان العمل والصناعة
التي تلقوها .

ان السد الحالي يبني على ارض قارة تبعد نحو ٧٠٠ متر فوق السد القديم
وشكله شكل جسر قائم على عقود مألوفة وطوله نحو ٢٥٠ متراً وعرضه بين
الطوارين (اي بين التفتين) ٤ امتار وعدد الابواب التي فيه ٣٦ وعرض كل
كل منها ٥ امتار وهذه الابواب تكون من المعدن وتنزل انزالاً كما ينزل السيف
في القرب واقربتها من الامين (الحديد المصبوب) وتنزل فيها بواسطة آلات
خصوصية تقام على الاطورة (التينغ) من جهة صدر النهر تسمى مرافع
(جمع مرفعة) ويكون ارتفاع منبسط الماء الذي يمر خلال هذا السد ٦ امتار في وقت

الفيضان ويدفع ٢٦٠٠ متر مكعب في الثانية . وحرض كل عمود من عواميس هذا السد متر ونصف وطوله عند قاعدته ١٣ متراً .

والسد كله مبني بالطابق وبالملاط [الشيمنتو] ولقد صنع له أكثر من ١٢ مليوناً من الآجر واتخذت الاسس من اللياط والملاط (خراسان Béton de ciment) ولم يستعملوا فيه من الحجارة الا حجارة هيت وذلك لتقوية بعض المنحدرات Talus وبنى على الجانب الايسر من السد درقتان متتايتان عرض كل منهما ٨٨ متراً وطولها ٥٠ متراً لتمكن السفن من العبور من جانب السد الى الجانب الآخر منه . وقد اقيمت تلك الدرقتان (١) لأنهم ضموا على بعد ٥٠ متراً من اسفل السد الموصوف فوق هذا سداً آخر مصمماً غواصاً Barrage massif submersible عرضه متران ونصف واتحاده متر ونصف في ايام الفيضود (اى نقصان الماء) والغاية منه ابداله من سد شندرفر الذى لا بد له من الاضمحلال .

وفي ايام الفيضان تفتح جميع ابواب السد فيجرى الماء على هواه . ولا يبدأ بسد الابواب الا عند بداية الفيضود étiage . وحينئذ تفتح قليلاً بحيث يسك الماء المنحدر الى علو مرتفع ارتفاع كافياً ليدخل في شط الحلة . وقد قيل لى ان سطح الماء في ذلك الوقت يكون ادنى من طائفة المألوفة في ايام الفيضان بعتر ونصف . ويكون ثخن طبقة الماء الداخلة بشط الحلة مترين ونصفاً وحينئذ لا يحتاج الزارع لسقى اراضيه في ايام الفيضود الا الى كرد اولى منضحة ترفع الماء الى علو متر ونصف او مترين لا غير . وفي وقت الفيضان يسقى اراضيه بدون آلة رافعة .

وعلى بعد ٤٠٠ متر من اعلى هذا السد وعلى الضفة اليسرى من النهر ينفصل شط الهندية واليوم يتم ماخذ مائه المعروف بالكيالة Régulateur وهو بهيمة جسر معقود وفيه ٦ فتحات عرض كل فتحة ٣ أمتار . ويكون على يسار هذه الكيالة درقة تمكن السفن من عبور النهر الى القناة وبالعكس . وتسد فتحات هذه الكيالة بابواب من المعدن على نحو ابواب السد . وسمعت المهندسين يقولون ان هذه الكيالة تدفع مكعباً قدره (١٥٠) متراً مكعباً في ايام الفيضان و٥٠ متراً مكعباً في ايام الفيضود وهذا يحمل الزارع ان يزرع في الشتاء اكثر من ١٥٠٠٠٠٠ هكتار (جريب) من الارض اى

(١) متنى درقة والدركة او البست او الخوخة او الصناع : سداده مع باب متحرك يقام في النهر او في الترع ليمسك الماء او يطلق سراحه كلما احتيج الى ذلك .

١٢،٠٠٠ فدان من قدامين الطالبو . وتحت كيلة الماء حفر المهندسون على بعد ٤ كيلومترات شعبة جديدة تكون مبدأ نهر الحلة وطول واديه اوعيقه ٣٠ متراً وعمق الحفر يزيد على ٣ امتار وقد قيل لى بخصوص مايقى من القناة ان الحكومة تفتظر نضوب الماء من القناة لتبتدى بكرها (اى بحفرها وتطهيرها) وهذا الكرى يشمل مكعبا كبيرا يوجب اشغال اكثر من ٣،٠٠٠ عامل ويؤمل انه ينهى فى هذا الحريف القادم مع سائر اشغال البناية .

انى لاشك فى ان الحكومة تسترجع فى اول سنة من اطلاق الماء فى السد مالا طائلا . وان قلت لك ان وارداتها من شط الحلة او قناة الحلة تكون خمس مرات اكثر مما يردها اليوم فلست مبالغا ابداً بل اكون دوين الحقيقة . وعليه يرجع صقع الحلة على ما كان عليه سابقا وتعود اليه ثروته الماضية .

فطوبى وقرة عين للملاكين الذين فى الحلة . وليتفموا بالماء وليباركوا ربهم عليه وليذكروا ان القحط الذى وقع فيهم منذ ربع قرن زال والحمد لله وليتعلّموا ان اهمال الصغار ، تؤدى الى الكبار ، وان نتيجة الاهمال ، خسارة الاموال .

واليوم قد تحولات اليهم ابصار ، جميع سكان هذه الديار ، وجميع اهالى العراق يودون ان يحصلوا على ماء غزير فى مواطنهم كالماء الذى يجيئهم عن قريب . فلندع الى الله ان ييسر للذين قاموا باعباء هذه الاشغال ان يحققوا جميع مانووه من معاهد السقى والرى لهذه البلاد . ولينبذل كل ما فى وسعنا لتمهيد العقاب التى تقوم بوجههم لاعد من الاقوام الراقية الحية .

ودعونى الان فى الختام ان اقول تيقظ ارباب الحكم واتباههم لم ينقطع هنيهة من الزمان اذ لا زالوا يبذلون المال عن يد سخية حتى فى ابلان الحرب وحتى فى معظم الصعوبات التى نشأت فى هذه الايام . وقد فعلت ذلك لترى بعين السرور نتيجة الاشغال . وفرح سكان هذه الديار واتبعائهم من الحالة التى وصلوا اليها بعد ذلك العز البعيد المثال . ولهذا يحق ان ان نطارد لتاريخ هذه الدولة صفحة مكتوبة بماه الانظار ، لابعاء النصار ، وان يحصل العراق على تقيم ما فى الصدور من الامانى ايصديق قول اهل الامثال والمعانى : اهتمم الرجال ، آمنوا المياه والجبال !

مندوب مجلة لغة العرب